دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

المستشرق الإسباني خوسيه أنطونيو كوندى
بين جدلية الرأي واختلاف الحقائق

أ.د. قاسم عبد سعدون الحسيني
أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ
كلية التربية للعلوم الإنسانية
جامعة ذي قار – جمهورية العراق

مُلَخّص

لم تخضع بدايات الاستشراق الإسباني وروافده إلى دراسات علمية وافية، ولعلَّ ذلك يعود إلى قلة الدراسات التي تناولت هذا الاستشراق، إذ لم تُدرج هذه القضية ضمن أولوياتها الأساسية، كما أنها لم تكن لتتصور بأن لهذه المسألة أهمية بالغة لمعالجة تصورات هذا الاستشراق علمًا أنَّ الاستشراق الإسباني يُعَدّ أقدم المحاولات الاستشراقية التي عرفتها أوربا، إذ يرجع تأريخه إلى بداية الوجود الإسلامي في بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية، وتحديدًا منذ أنّ وطأت أقدام الفاتحين أراضي هذه البلاد سنة (٩٢هـ/٧١١م). يُعَدّ المستشرق خوسيه أنطونيو كوندى (José Antonio Conde) واحدًا من أبرز المستشرقين الإسبان الذين كرسوا جهدهم لدراسة تاريخ المسلمين في الأندلس، مُحققًا تراثًا علميًا في وقت لم تكن العربية منتشرة في إسبانيا بشكل كبير والناس تجهل أسرار هذه اللغة، ولم تكن هناك قواميس يمكن الاستعانة بها رغم ذلك ابدع كوندي بتأليف كتابه الموسوم "تاريخ حكم العرب في إسبانيا" معتمدًا على وثائق ومخطوطات عربية، فأنصف الحضارة الإسلامية في الأندلس، الأمر الذي جعله أنَّ يكون عرضة لآراء بعض المستشرقين المتعصبين الذي لم يتوانوا في القدح به والنيل منه. ولضرورة تقتضيها طبيعة البحث انتظمت الدراسة بمقدمة ومبحثين وخاتمة، حمل المبحث الأول عنوانًا الجذور التاريخية للاستشراق الإسباني، أما المبحث الثاني فانتظم بعنوان المستشرق خوسيه أنطونيو كوندي وجهوده العلمية في دراسة تاريخ الأندلس. أما الخاتمة تجسدت فيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث معتمدًا على المنهج التاريخي القائم على التحليل والنقد.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ١٤ سبتمبر ٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر: ٠٣ ديسمبر ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

الاستشراق؛ إسبانيا؛ كوندي؛ المستعربون؛ الأندلس

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/kan.2025.415260

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

قاسم عبد سعدون الحسيني. "المستشرق الإسباني خوسيه أنطونيو كوندى بين جدلية الرأي واختلاف الحقائق".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد السابع والستون؛ مارس ٢٠٢٥. ص ١٧٢ – ١٨٧.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: ukm_2012@yahoo.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّأريخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةُ

لم تخضع بدايات الاستشراق الإسباني وروافده إلى دراسات علمية وافية، ولعلَّ ذلك يعود إلى قلة الدراسات التي تناولت هذا الاستشراق، إذ لم تُدرج هذه القضية ضمن أولوياتها الأساسية، كما أنها لم تكن لتتصور بأن لهذه المسألة أهمية بالغة لمعالجة تصورات هذا الاستشراق علماً أنَّ الأستشراق الإسباني يُعد أقدم المحاولات الاستشراقية التي عرفتها أوربا، إذ يرجع تأريخه إلى بداية الوجود الإسلامي في بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية، وتحديدًا منذ أنّ وطأت أقدام الفاتحين أراضي هذه البلاد سنة (٩٢هـ/٧١١م).

ويُعد المستشرق خوسيه انطونيو كوندى واحدًا من أبرز المستشرقين الاسبان الذين كرسوا جهدهم لدراسة تاريخ المسلمين في الاندلس، مُحققًا تراثًا علميًا في وقت لم تكن العربية منتشرة في إسبانيا بشكل كبير والناس تجهل أسرار هذه اللغة، ولم تكن هناك قواميس يمكن الاستعانة بها رغم ذلك أبدع كوندى بتأليف كتابه الموسوم تاريخ حكم العرب في إسبانيا معتمدًا على وثائق ومخطوطات عربية، فأنصف الحضارة الإسلامية في الاندلس، الأمر الذي جعله أنَّ يكون عرضة لآراء بعض المستشرقين المتعصبين الذي لم يتوانوا في القدح به والنيل منه.

وما يؤسف له أنَّ أقلام الباحثين والمهتمين في دراسة الأستشراق الإسباني لم تتناول جهود هذا المستشرق، وإسهاماته البحثية في الحفاظ على تأريخ المسلمين وحضارتهم في الأندلس، ومن هنا تنبع أهمية هذا الموضوع ومكانته في ميدان البحث الاستشراقي. محاولين الإجابة عن ماهية جهود المستشرق كوندى في توثيق تأريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الأندلس؟

ولضرورة تقتضيها طبيعة البحث انتظمت الدراسة بمقدمة ومبحثين وخاتمة، حمل المبحث الأول عنوانًا الجذور التاريخية للاستشراق الإسباني، أما المبحث الثاني فأنتظم بعنوان المستشرق خوسيه انطونيو كوندى وجهوده العلمية في دراسة تاريخ الاندلس. أما الخاتمة، تجسدت فيها أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث معتمدًا على المنهج التاريخي القائم على التحليل والنقد.

أولاً: الجذور التاريخية للاستشراق الإسباني

يُعَدّ الاستشراق الإسباني علمًا لـــه خصائصه ومدارسه وفلسفته تميز بها عن العلوم الأخرى، لذا حريٌ على الباحث في شأن الأندلس أنَّ يهتم به ويبذل ما بـــوسعه لمعرفة مفهومه ومقاصده وغاياته، لا سيما أنَّ الاستشراق الإسباني يكاد يختلف تمامًا عن بقية أنواع الاستشراق إذ أنَّ عموم العاملين في الاستشراق وخصوص الدارسين للاستعراب لم يحققوا بعد دعوى عبد الرحمن بدوي حول قلة شأن الاستشراق الإسباني ضمن الاستشراق الغربي والتي أطلقها بدوي في ظل غياب النصوص والوثائق. ولضرورة تقتضيها الدراسة لا بد لنا أنَّ نعُرف الاستشراق ونقف على جذوره التأريخية ومعرفة الفرق بين الاستشراق والاستعراب لا سيما في إسبانيا.

١/١-الاستشراق لغة

الاستشراق مصطلح مُنشق من كلمة شرق، يُقال شرقت الشمس شرقًا وشروقًا أي طلعت[١]، وهي كلمة مؤلفة من مقطعين الأول أست ويقصد بها إبراز ما كان مخفيًا وإظهاره. والثانية شرق ومعناها طلب الـــشرق وعند دمج الكلمتين يكون المصطلح استشراق ومعناها طلب علوم الشرق وآدابه وأديانه ولغاته[٢].

٢/١-الاستشراق اصطلاحًا

إذا أُريد أنَّ نفهم مصطلح الاستشراق لا بد من الرجوع إلى رأي علماء الغرب والعرب في تحديد ماهية هذا المصطلح وقد وضعت تعاريف عدة له منها: قال ألمستشرق بارت[٣] أنَّ الاستشراق علم يختص بفقة اللغة خاصة، لذلك لا بد إذًا أنَّ نفكر بالمعنى الذي أُطلق عليه كلمة استشراق المنشقة من كلمة شرق والتي تعني مشرق الشمس، لذا تبعًا لذلك يكون الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي. علمًا أنَّ هناك اختلاف في مفهوم الشرق من الناحية الجغرافية. أما العالم جويدي[٤] عرف الاستشراق قائلاً: (أنَّ الوسيلة لمعرفة النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب إنما هو علم الشرق، بل نستطيع أنَّ نقول أنَّ غرض هذا العلم الأساسي ليس مقصورًا على مجرد دراسة اللغات، أو اللهجات وتقلبات

تاريخ الشعوب، بل يمكننا أنَّ نقول: أنَّهُ بناء الارتباط المتين بين التمدن الغربي والتمدن الشرقي).

أما المستشرق ديتريش،[٥] يرى أنَّ المستشرق هو ذلك الباحث الذي يحاول دراسة الشرق وتفهمه ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة في هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق.

أما المستشرق رودنسون[٦] في دراسته لتأريخ الاستشراق عرفه قائلاً: (ولد الاستشراق وظهرت كلمته في اللغة الانكليزية حوالي عام ١٧٧٩م، كما دخلت كلمة الاستشراق في المعاجم الفرنسية عام ١٨٣٨م).

أما علماء العرب كان لهم رأي في مصطلح الاستشراق لذلك وضعوا تعاريف لهذا المصطلح ومنها: الاستشراق هو جهود الغربيين ودراساتهم لتأريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته وتقاليده ومعتقداته وأساطيره، ثم تطور هذا المفهوم وأخذ يشمل دراسة العبرية لصلتها بالدين والعربية لصلتها بالعلم[٧]. أما أحمد الإسكندراني وأحمد أمين[٨] عرفا المستشرق بأنهُ كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية وتقصي آدابها طلبًا لتعرف شأن أمة، أو أمم شرقية ومعرفة عاداتها وتقاليدها وتأريخها ودياناتها وكل ما يتعلق بها.

كذلك عُرف الاستشراق بأنهُ كلمة يُعرف خلالها أنَّ المستشرق هو المشتغل بالعقليات الشرقية سواء أكانت سامية أم غير سامية، ولكن هذهِ الكلمة في اصطلاح العلماء والأدباء تطلق على المشتغل بالعقليات السامية خاصة[٩]. كذلك عُرف الاستشراق بأنَّهُ قوم من المستشرقين الأوربيين نسبوا أنفسهم إلى العلم والبحث وشغلوها في أغلب الأحيان بالبحث في التأريخ والدين والاجتماع ولكل منهم لغته الأصلية التي تزود بها وتربى عليها، لذا فُهم ينحازون إلى لغاتهم ويدافعون عنها ويفتخرون بها، لكن مع ذلك تعلموا اللغة العربية بجوار لغتهم الأصلية بغية دراسة حضارة الشرق وعلومه وآدابه[١٠].

إلى جانب هذهِ التعاريف وضعت تعاريف أخـــــرى أبـــــرزها تـــــعريف مالك بن نبي[١١] حيث قال: (يجب أولاً أنَّ نحدد مصطلح الاستشراق ونعني به، الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية، ثم علينا أنَّ نُصنف أسمائهم على شكل طبقات وعلى صنفين هما أولاً من حيث الزمن، وثانيًا من حيث نظرتهم إلى الإسلام والمسلمين ومعرفة رؤى وأفكار هؤلاء فهناك المادحين للإسلام وحضارته، وهناك القادحين بالإسلام، ولكل ما يمت بصلة له).

أما إسحاق موسى الحسيني[١٢]، عرفَ الاستشراق قائلاً: (أنَّ لفظة استشراق ومشتقاتها مولدة أستعملها الكتاب المحدثون من ترجمة كلمة Orientalism، ثم اشتقوا من الاسم فعلاً فقالوا أستشرق ولا يوجد ما يقابله في اللغات الأجنبية فعل مرادف للفعل العربي، ثم أشتهر هذا المصطلح وأصبح معروفًا لدى الغرب.

لم تكن هذهِ التعاريف وحدها هي التي حددت، أو فسرت مصطلح الاستشراق، بل أنَّ هناك تعاريف كثيرة وضحت هذا المفهوم إلا أننا نكتفي بما ذُكر. لأنَّ جميع هذهِ التعاريف تصب في اتجاه واحد هدفها تفسير مصطلح الاستشراق وتحديد مفهومه. ولعلَّ هناك تداخل بين مصطلح الاستشراق ومصطلح الاستعراب، لذا تقتضي طبيعة الدراسة أن نُعرف مفهوم الاستعراب ومعرفة خصائصه.

حينما فتح المسلمون بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية سنة ٩٢ه /٧١١م، وجدوا غالبية السكان يدينون بالديانة المسيحية ويتكلمون اللغة الإسبانية القديمة (الرومانس أو الرومانث) المتولدة من اللاتينية، التي عُرفت فيما بعد بالأعجمية أو اللاتينية[١٣]، وقد تعرب هؤلاء السكان نتيجة لتعايشهم مع الفاتحين المسلمين فحاكوهم لسانًا وزيـــــًا، وأعتنق بعضهم الإسلام بينما بقيَّ البعض الآخر على مسيحيته مكونًا طائفة ضمن المجتمع الأندلسي مسيحية الدين والعقيدة، عربية اللسان والمظهر وهذهِ الطائفة هي التي أطلق عليها مصطلح المستعربون Los Mozarabes، باللغة الإسبانية[١٤] .وقد اطلق على هذهِ الفئة أسماءً ونعوتًا منها: العجم أي الذين لا ينحدرون من أصل عربي، النصارى، أهل الذمة، المعاهدون لأنهم عاهدوا مسلمي الأندلس على الطاعة والولاء ودفع الجزية والخراج وعدم حمل السلاح[١٥]. كذلك نُعتَوا بنعوت مركبة مثل: المعاهدون من النصارى، نصارى الذمة[١٦]. ونعتوا بألفاظ لا يفضل المستعربون

سماعها مثل: الروم، الكفرة والمشركين فكانوا يقصدون بها نصارى الشمال[١٧].

١/٣-الاستعراب لغة

الاستعراب مصطلح مشتق من عربَ أي استعرب الشخص وجعل نفسه من العرب وصار دخيلاً بينهم، وجعل نفسه منهم إذًا فهو مستعرب، والمستعربة من العرب هم أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، إما العاربة فهم العرب الخلص. ويقال أنَّ المستعربون هم قوم من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وتشبهوا بهم[١٨]. وجذورهم التأريخية تعود إلى أيوب بن القرية[١٩]، إذ هو أول من أستعمل الاستعراب، ويبدو أنّ هذا المصطلح أخذ بالتطور حتى استعمله المؤرخون المشارقة للإشارة إلى القبائل العربية التي كانت مستقرة بالشام أيام الفتوحات الإسلامية.

١/٤-الاستعراب اصطلاحًا

أطلق مصطلح المستعربون على احدى الفئات المكونة للمجتمع الأندلسي، إذ عاشت هذهِ الفئة في كنف الإسلام والمسلمين في بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية لا سيما العناصر المسيحية التي أستعربت في لغتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها وظلت محتفظة بلغتها المحلية (الأعجمية)، ومحافظة على ديانتها المسيحية أو اليهودية[٢٠]. وقد كفلت لهم الحكومات الإسلامية التي حكمت بلاد الأندلس حرية المعتقد وأبقت نظامهم الإداري المتمثل بوجود رئيس لهم يُعرف بالقومس يختارونه من بينهم ليكون ممثلاً عنهم في الأمور الإدارية، إضافة إلى تعيين قاضٍ لهم يعرف بقاضي العجم يفصل في منازعاتهم ومشاكلهم الإدارية الحاصلة فيما بينهم، إضافة إلى حريتهم في التردد على الكنائس والأديرة، حيث تمتع المستعربون بحرية كاملة فاحتفظوا بهويتهم الثقافية التي عرفوا بها.[٢١]

تمتع المستعربون في بلاد الأندلس بحرية كاملة ومارسوا نشاطاتهم، وسرت إليهم العادات والتقاليد الإسلامية وتعلموا اللغة العربية وكتبوا بها، وألف بعضهم كُتبًا وأقتنوا مكتبات عربية حيث مكنتهم معرفتهم باللغة العربية وإتقانها إلى ترجمة العديد من الكتب العربية إلى لغاتهم الأمر الذي ساعدهم لأن يكونوا حلقة وصل بين المسلمين والنصارى في الأندلس[٢٢].

١/٥-الاستعراب الإسباني وانبعاث الاستشراق

أحتلَّ الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية مكانة بارزة عند المستشرقين الإسبان، وشغل حيزًا كبيرًا في مخيلتهم وباتَ حدثًا مركزيًا شد انتباه الناس لما كتبه هؤلاء المستشرقين لا سيما المتعصبون منهم الذين اخذوا ينظرون إلى الإسلام بأنَّهُ قوة طارئة غزت بلادهم ودمرت أرثهم وتاريخهم الحضاري، وأنهُ فرض نفسهُ عليهم بواقعية لا يمكنهم التنصل منها، وأخذوا يقارنون بين إسبانيا النصرانية وإسبانيا الإسلامية، وباتوا ينظرون إلى ذلك على أنَّهُ صراع قومي وديني، ولابد للقومية والدين أنَّ ينتصرا. ويتجسد ذلك بقول المستشرق دانيال: (منذُ الغزو العربي والحياة الإسبانية تخضع لمقابلة المسيحي المورو[٢٣] فكل ما ليس لنا هو مسلمٌ وأجنبي في آنٍ واحد وكل ما لنا هو مسيحي وإسباني في الوقت نفسه.

أنَّ التأكيد على ما هو لنا يتسع ليشمل على نحو متزامن المسيحية والإسبانية، أما التأكيد على ما ليس لنا فيستوعب على النحو ذاته قومية الآخر المتطفل ودينه))[٢٤]، لذا فقد ارتبطت صورة الإسلام وحضارته في الأندلس في المتخيل الذهني للمستشرقين الإسبان (المتعصبين) بألفاظ وعبارات قدحية مثل : التعصب، الغزو، الاستعمار، الاحتلال...الخ، فمعاينة أفكارهم المبثوثة بدراساتهم تبرهن على حتمية الكره والعداء الشاخص في خطابهم الاستشراقي، إذ أنَّ كل مستشرق كتب عن الوجود الإسلامي في الأندلس ملزم بضرورة اتخاذ موقف إزاء حضارة الإسلام في هذا البلد، ليتجسد للقارئ طبيعة المرتكز الذي استند عليه المستشرق في التعامل مع الإرث الحضاري الإسلامي في الأندلس، وقلما تجردت أقلام هؤلاء المستشرقين عن أهوائهم الشخصية وانتماءاتهم الفكرية والعقدية في صياغة الخطاب الاستشراقي، وأنَّ جل هؤلاء المستشرقين أنَّ لم نقل جميعهم قد ركزوا اهتماماتهم على دراسة تاريخ الإسلام والمسلمين في الأندلس فقط دون أنَّ يكون لهم اهتمامًا بحضارة وثقافة الشرق

وتاريخه، ولأجل تحقيق أهدافهم عكف هؤلاء المستشرقون على استعراب ثقافتهم فدرسوا اللغة العربية وأتقنوها.

لذا فلا غرابة أنّ نقول أنَّ ثمة علاقة وثيقة بين الاستعراب والاستشراق في إسبانيا وأنَّهُ أي (الاستشراق) امتداد لجهود المستعربين الذين عاشوا في كنف الحكم الإسلامي في الأندلس، إذ أهتم هؤلاء المستعربون بدراسة اللغة والثقافة والتراث العربي الإسلامي حتى تطورت أعمالهم إلى ترجمة الإعمال الجدلية ضد الإسلام والتبشير[٢٥]، وشهدت هذهِ الإعمال تطورًا كبيرًا لا سيما بعد استرداد مدينة طليلطة[٢٦] وسقوطها بيد الإسبان سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، فعمل هؤلاء المستعربون على إنشاء مدارس للترجمة تزامنت مع توافد عدد من رجال الدين النصارى من أوربا إلى الأندلس لا سيما طبقة الرهبان الفرنسيين الذين دخلوا الأندلس وشكلوا حركات لغرض الإصلاح الديني كالحركة الكولونية Clunisienne[٢٧] والحركة الديرية السترشيانية Cisterciens[٢٨] وهؤلاء كان لهم دورًا كبيرًا في تغير الموقف الإسباني تجاه الإسلام وانطلاق مرحلة الاستشراق الإسباني[٢٩] التي جاءت متزامنة مع تزايد الحركة الصليبية في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ووقوع الكنيسة الإسبانية تحت سلطة بابا روما[٣٠].

٦/١-الجذور التأريخية للاستشراق الإسباني

تميزت إسبانيا عن غيرها من الدول الأوربية بأنها سباقة في التعامل مع العرب والاستفادة من الحضارة الإسلامية، لذلك كان اهتمام الإسبان يسير باتجاه دراسة ما أنتجه المسلمين في إسبانيا والاستفادة من هذا الإرث الحضاري الكبير، لذا فأنَّ الجذور التأريخية للاستشراق الإسباني قديمة قدم الحضارة الإسلامية في الأندلس، ولهذا الاستشراق خصوصية تختلف عن بقية أنواع الاستشراق الأخرى إذ أن الاستشراق الإسباني ولدَ مع وصول المسلمين إلى بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية، وأنَّهُ أنطلق من داخل إسبانيا وتعود بدايات تدشينه الأولى إلى المستشرق الإسباني خوسيه أنطونيو كوندى Jose Antonio Conde (١٧٦٥-١٨٢٠م)، الذي كان له الفضل في التعريف بتاريخ الأندلس وأدب المورسيكيين[٣١]، وأنَّهُ فتح طريق الاستشراق الإسباني لمن أتى من بعده وسار على خطاه ومنهم : باسكوال دي غايانغوس (١٨٠٩-١٨٩٧م)[٣٢]، الذي تخرج على يديه عدد من المستشرقين الإسبان أمثال إدواردو سافيدرا[٣٣]، فرانسيسكو خافير سيمونيت[٣٤] وإيميل لا فويتي الكنترا[٣٥]، وفرانسيسكو غونثالث[٣٦]، على أنْ ابرز هؤلاء المستشرقين حسب رأي المؤرخ محمود علي مكي، كان فرانسيسكو كوديرا (١٨٣٦-١٩١٧م) حيث أعطى الاستشراق الإسباني دفعة قوية إلى الأمام، إذ يعد كوديرا مؤسس الاستشراق الإسباني الحديث، وقد تخرج على يديه عدد كبير من المستشرقين ممن واصلوا مسيرته الاستشراقية[٣٧].

مما لا شك فيهِ أنَّ إسبانيا ما كانَ لها أنَّ تطرق أبواب الحضارة والتقدم لولا القرون الثمانية التي عاشتها في كنف الإسلام والمسلمين، لذلك اتجهت أنظار المستشرقين الإسبان إلى البحث والتنقيب في متحف الأسكوريال بحثًا عن الروايات العربية المتعلقة بتاريخ الأندلس الإسلامية ومعرفة سياسة الحكومات الإسلامية التي حكمت بلاد الأندلس، إذ أهتم هؤلاء المستشرقين في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي في تاريخ المسلمين ومعرفة الحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس، وكان من نتائج هذا الاهتمام ظهور مؤلفات عُنيت بتاريخ المسلمين في بلاد شبه الجزيرة الأيبيرية[٣٨]. وقد تفانى عدد من المستشرقين الإسبان في محاولة منهم نشر إسبانية الأندلس، والإشارة للحضارة الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية، رغم ذلك إلا أنَّ البعض لم يُغادر نزعته القومية والاستشراقية وظلَ يطرح رؤىً وأفكارًا برزت من خلالها أسبنة الأندلس دمًا وعرقًا وحضارة كخطوة منهم لإيهام القارئ بأنَّ الحضارة الإسلامية في الأندلس ما كان يُكتب النجاح لها، لولا جهود الإسبان في تلك الحضارة. ولعلَّ في ذلك مغالطة كبرى وإيهام للقارئ وابتعاد عن الحقيقة التي مفادها أنَّ المسلمين استطاعوا بناء حضارة عريقة بجهود يشهد الجميع لها، ولا ننكر التراث المشترك بين

العرب والإسبان الذي فرضه التزامن التأريخي والجوار الجغرافي.

حظيَّت رؤى وأفكار هؤلاء المستشرقين لا سيما المتعصبين منهم بمكانة مهمة في أوساط إسبانيا تجسدت في الغياب المتعمد لمصطلح الأندلس، وبروز بدائل ذات سبغة قومية كلفظ: اندلوثيا، إسبانيا، إسبانيا الإسلامية، لذلك ليس من قبيل الصدفة أنَّ يبرز وصف أندلوث ويتأخر وصف أندلسي عند بعض المستشرقين الإسبان في تناولهم للثقافة الأندلسية رغم الاختلاف الصريح بين المصطلحين[٣٩]. ولعلّ في ذلك نزعة قومية إسبانية لم يستطلع الإسبان مغادرتها لا، بل احتفظوا بها إلى يومنا هذا.

كذلك أكدت الدراسات والأبحاث التأريخية أنَّ لقب المستعربين ظهر أولاً في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي في الكتابات اللاتينية، ثم انتقل إلى إسبانيا فيما بعد إذ سابقًا كانوا يقولون قشتاليون أو افرنج[٤٠]. وأنَّ أول من أطلق لقب مستعرب هو الملك الفونسو السادس Alfonso VI [٤١]، ولكن بصيغة Muztarabes، سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، كما أطلقه عليهم حفيده الملك الفونسو السابع (السليطين) Alfonso VII [٤٢]، في قانونه سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م ودعاهم بنفس الاسم الملك الفونسو المحارب Alfonso el Batallador [٤٣] في قانونه سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م[٤٤].

تطورت حركة الاستعراب الإسباني وأخذت تزداد يومًا بعد آخر حتى أصبحت نواة لحركة الاستعراب الإسباني الحديث مع اختلاف بسيط متمثل باستعراب الإسبان في عهد المسلمين كان عبارة عن استعراب في نمط الحياة والحضارة والأسلوب في التعايش ، أما الاستعراب الإسباني الحديث فأنه عبارة عن دراسة للحضارة واللـــغة والتـــراث والتأريخ الإسلامي، وبصفة خاصة استعرابًا لتأريخ المسلمين في الأندلس[٤٥]. علمًا أنَّ جل المستشرقين الإسبان يفضلون لقب مستعرب على لقب مستشرق وهذا ما نلمسه في كتاباتهم التي جسدوا فيها تاريخ المسلمين في الأندلس لذلك أنتجوا تراثًا إسبانيا خالصًا، وقد حفلت المكتبة الإسلامية بهذا النتاج العلمي، ولعلَّ ذلك يعود لأنَّ المستعربون الذين عاشوا في كنف الإسلام تبنوا الحياة العربية لغة وعادات وتقاليدًا، لذلك اتخذوا أسماء عربية إلى جانب أسمائهم اللاتينية، أما المستعربون الإسبان المحدثين فأن استعرابهم لم يتجاوز إتقان اللغة العربية إذ كان هدفهم الحصول على العلم والمعرفة. وبناءً على تلك المعطيات يتضح أنَّ الاستعراب من وجهة نظرنا هو المرتكز الأساس الذي اعتمد عليه الاستشراق الإسباني وانطلق منهُ في بث الخطاب ورؤى الاستشراق الإسباني.

ثانيًا: المستشرق خوسيه أنطونيو كوندى Jose Antonio Conde (١٧٦٥-١٨٢٠م) وجهوده العلمية في دراسة تاريخ الأندلس

١/٢-حياته ومسيرته العلمية

خوسيه أنطونيو كوندى Jose Antonio Conde، مستشرق إسباني ولد في ٢٨/ أكتوبر سنة ١٧٦٥م، في مدينة برليخا Peraleja، في احدى نواحي كونكة الواقعة شمال إسبانيا[٤٦]، وتلقى تعليمه في مدرسة سان جوليان San Jolean، اعتبارًا من يونيو ١٧٨١م، حتى ١٥ يونيو ١٧٨٢ وقام بدراسة القواعد النحوية والجدلية، ثم اهتم بدراسة الأمور الدينية، بعدها التحق بجامعة القلعة وكان متفوقًا بدراسته وحصل على جوائز كثيرة ذلك لتفوقه في ميدان الفلسفة ونال شهادة البكالوريوس في ٢٢يونيو ١٧٨٨م[٤٧].

بدأ كوندى مسيرته العلمية مهتماً بدراسة النصوص اليونانية الكلاسيكية، وحصل على منصب في المكتبة الملكية عام ١٧٩٥م، ثم واصل مشواره العلمي معتمدًا على نصوص أغريقية[٤٨]. في عام ١٨٠٢م صار كوندى عضوًا في الأكاديمية الإسبانية خلفًا لتوماس أنطونيو Tomas Antonio Sanshet، في كرسيه، كما كان عضوًا في أكاديمية العلوم والآداب في برلين[٤٩].

في عام ١٨٠٤م تم قبول كوندى عضواً في الأكاديمية الملكية للتأريخ، وعُين مترجمًا لجوزيف بونابرت، وهرب إلى فرنسا عام ١٨١٣م، ثم عاد إلى إسبانيا بعد عام واحد وبسبب تعاطفه مع الفرنسيين وميوله لهم، طُرد كوندى من أكاديمية التأريخ والأكاديمية الإسبانية عام ١٨١٤م، كما لم يُسمح له بالإقامة في مدريد حتى عام ١٨١٦م، لكن بعد عامين أُعيد كوندى إلى منصبه في الأكاديميتين المذكورتين. وكان سبب طرده من هذهِ

الأكاديميات يعود لآرائه السياسية الموالية إلى فرنسا، لذلك أمر الملك فرناندو السابع بنفيه خارج إسبانيا، فلجأ إلى فرنسا وعاش فيها في حالة من الفقر والعوز والحرمان[٥٠].

تعرض المستشرق كوندى لمشاكل سياسية لا سيما مع محكمة التفتيش الإسبانية بسبب شكوى قُدمت ضده أُتهم فيها بأنهُ صرحَ بـــأشياء، وافـــصح عن آراء تُسيء للسيد المسيح عليه السلام وقال: (أنَّ كل مزامير داوود ليس فيها ما يدعو للأعجاب إلا أنها كُتبت شعرًا)، وأنَّهُ ألف كتابًا يتغنى بالجنس لكن هذهِ الاتهامات لم تُثبت على كوندى، ولم تنل منه أو تؤثر في مسيرته العلمية[٥١].علمًا أنَّهُ تأثر بجهود ميخائيل الغزيرى في الاهتمام بالتراث الإسلامي في إسبانيا ووجه اهتماماته لدراسة تاريخ المسلمين في الأندلس[٥٢].

توفي المستشرق الإسباني كوندى في عام ١٨٢٠م، بعد أنَّ عاش فقيرًا معوزًا، ونظرًا لذلك تكفل بعض أصدقائه بدفنه وتحملوا تكاليف جنازته ومراسيم دفنه، ومنهم: تكنور، موراتين ومرنينث، ورثاه صديقه المقرب له موراتين بقصيدة شعرية تجسد فيها الرثاء بأبهى صوره فخلدَ ذكراه بين الإسبان[٥٣].

٢/٢-نتاجه العلمي

ترك المستشرق الإسباني خوسيه انطونيو كوندى تراثاً علمياً عُنيَّ بدراسة تاريخ الأندلس وأهم مؤلفاته هي:

١- كتاب تاريخ حكم العرب في إسبانيا.
٢- كتاب أشعار شرقية طبع في مدريد سنة ١٨١٩م.
٣- كتاب خلفاء قرطبة، أنتهى كوندى من تأليفه سنة ١٨٢٠م.
٤- Elevanteo قصيدة مترجمة سنة ١٧٨٧م.
٥- كتاب نزهة الشوق في تقسيم الأقاليم، هذا الكتاب عبارة عن ترجمة لأبي عبد الله بن محمد الشريف الإدريسي، وصفَ فيها المؤلف إسبانيا مع ترجمة إسبانية وتعليقات طبع في مدريد سنة ١٧٩٩م[٥٤]. وقد تعرض كوندى لانتقادات كبيرة تخص ترجمته لهذا الكتاب[٥٥].
٦- بحث بعنوان رسالة حول العملات العربية خاصة تلك التي سكها المسلمون في إسبانيا، نُشر هذا البحث سنة ١٨٠٤م، وقد أثارت هذهِ الدراسة (البحث) الجدل بين الأوساط الأكاديمية، الأمر الذي جعل الاكاديميون يطلقون عليه (أثري أو عتيق)، وقد أدلى كوندى في هذه الدراسة بمعلومات جديدة تخص العملات الإسلامية في الأندلس وحدد أسماء المدن التي اتخذها حكام الأندلس مقرًا لسك العملة، فضلاً عن محاولته في تحديد قيمة هذهِ العملات بالعملة الإسبانية[٥٦].
٧- كتاب في النقود العربية، طبع في مدريد سنة ١٨١٧م، وهو ضمن منشورات أكاديمية التاريخ.

٣/٢-قراءة في كتاب تاريخ حكم العرب في إسبانيا

أنَّ المتمعن في الحضارة الإسلامية في الأندلس يجد ثمة تراث مشترك بين العرب وإسبانيا فرضه التزامن التاريخي والجوار الجغرافي، كون أنَّ التراث الإسلامي في الأندلس جزءًا لا يتجزأ من تاريخ إسبانيا. الأمر الذي أشار إليه كوندى في كتاباته حول تاريخ المسلمين في إسبانيا حيث أنصف كوندى التراث الإسلامي الأندلسي وبينَّ دوره الإيجابي في نهضة أوربا وتطورها.

يُعد كتاب تاريخ حكم العرب في إسبانيا أول مؤلف أوربي جامع ألفه مستشرق إسباني عن تاريخ الأندلس، أعتمد فيه كوندى، على مصادر عربية محفوظة في مكتبة الأسكوريال، وهي سابقة أولى في تاريخ الاستشراق الإسباني، وما يؤسف له أن كوندى لم يشر إلى هذهِ المصادر، أو المخطوطات الأمر الذي يُعد سُبة على كتاباته، اللهمَّ إلا ما أشار لهم كوندى في بعض معلوماته وهم : ابن الأبار، ابن الخطيب، وإشارة إلى اسمين لم يكن مشهورين في المؤلفات الأندلسية وهم أبن خشيب والمطروق[٥٧].وقد أفصح كوندى عن رغبته في إضافة بعض الملاحق عن مملكة غرناطة لكن المصادر العربية ليست كثيرة لأنَّ الـــكارديـــنال زمنيز (خمنيس)، ومحاكم التفتيش الإسبانية قد حرمته من هذهِ المذكرات التأريخية[٥٨].

لعلَّ الوقت لم يسعف كوندى في معالجة بعض الهفوات والأخطاء التي وردت في كتابه (تاريخ حكم العرب في إسبانيا)، إذ لم يتوفر الوقت لديه لمراجعة الكتاب وإتمام دراسته، لا سيما أنَّ الكتاب نُشر بعد وفاته، وأُستند إلى بيانات وأوراق تركها كوندى دون ترتيب لذلك ليس من المستغرب ثمة أخطاء تُصيب هذا المنجز العلمي الكبير رغم ذلك يتمتع هذا الكتاب بقيمة علمية كبيرة أفصح فيه كوندى بمعلومات مهمة عن تاريخ حكم المسلمين في الأندلس.

قدمَ كوندى في كتابه هذا عرضًا متكاملاً لتاريخ المسلمين في الأندلس الإسلامية، وقد أُلف هذا الكتاب، بظروف استثنائية كانت تمر بها إسبانيا لا سيما مشكلة العنصريةِ القومية التي عصفت بالبلاد وما آلت إليه من نتائج أثرت سلبًا على المجتمع الإسباني[٥٩].

أنَّ القارئ الحصيف لكتاب تاريخ حكم العرب في إسبانيا يلتمس التقدير الكبير الذي حمله كوندى للحضارة الإسلامية في الأندلس، والصورة المشرقة التي قدمها للوجود العربي في إسبانيا إلى حد الإلحاح على المقارنة بين ما بلغته إسبانيا في ظل الحكم الإسلامي من تقدم وتطور وازدهار، وما آلت إليهِ في أيامه من تخلف حضاري وثقافي عصف بإسبانيا وشمل جميع مفاصل الحياة[٦٠]. وفي ظل تلك المؤثرات ابدى كوندى حماسة كبيرة في الدفاع عن العرب في إسبانيا وأشاد بفضائلهم ومواقفهم وتغنى بالحضارة الإسلامية التي خلفها المسلمون في إسبانيا.

أنتظم كتاب تاريخ حكم العرب في إسبانيا بثلاثة مجلدات وأربعة أجزاء وحمل عنوان باللغة الإسبانية (Historia de La Dominacion de los Arabes en Espana)، أبتدأ كوندى كتابه بمقدمة طويلة جدًا تحدث فيها عن الدراسات العربية في إسبانيا في عصره، وبينَّ حالة المكتبات وعدم اهتمام الحكومة الإسبانية بهذه الدراسات، بعد ذلك وصف كوندى الطريقة التي أنتهجها في تأليف الكتاب وهي على النحو التالي:

الجزء الأول: يبدأ من دخول المسلمين إلى الأندلس ويستمر إلى قيام الحرب بين زعماء القيسية واليمانية واصفًا الصراع بينهما بأنهُ صراع عصبي وقبلي.

الجزء الثاني: يبدأ منذ زمن الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨- ١٧١ه /٧٥٥-٧٨٧م)[٦١]، ويستمر إلى حكم الخليفة هشام المؤيد (٣٦٦-٣٩٩ه / ٩٧٦-١٠٠٨م)[٦٢].

الجزء الثالث: يبدأ من اختيار جوهر الصقلي[٦٣]، والصراع بين المسلمين المتمثل في الفتنة القرطبية.

الجزء الرابع: يبدأ من حروب حكام الطوائف إلى حصار مملكة غرناطة وتسليمها بيد الإسبان سنة ٨٩٧ه/١٤٩٢م. أردف كوندى الكتاب بقائمة تحتوي على أسماء حكام المسلمين الذين حكموا الأندلس مبتدءًا بالأمير عبد الرحمن الداخل إلى آخر حكام الطوائف، ولم يكتفِ بذلك بل زود الكتاب بقائمة تتكون من ٦٦ كلمة عربية أستخدمها في الكتاب مع ما يقابلها باللغة الإسبانية محافظًا على أسلوبه الأدبي والبلاغي في تأليف الكتاب[٦٤]، ولكي يُشعر كوندى قارئ الكتاب بأنَّ مؤلفه يغلب عليه الطابع العربي، قام بأدراج بعض القصائد الشعرية في كتاباته التأريخية.

نُشر الكتاب لأول مرة في مجلده الأول والثاني عام ١٨٢٠م، أما المجلد الثالث فأنهُ نُشر عام ١٨٢١م بعنوان (تاريخ السيطرة العربية في إسبانيا من واقع مخطوطات ووسائل عربية)، بعد ذلك بأربع سنوات وتحديدًا عام ١٨٢٥م نُشر الكتاب في فرنسا بعنوان (سيطرة العرب والمسلمين في إسبانيا والبرتغال منذُ غزو شعوبها وحتى طردهم النهائي)[٦٥].

أن المتمعن في هذا العنوان يجد ثمة نعرة طائفية وقومية واضحة المعالم حينما يوصف الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال)، بالغزو، الاحتلال والسيطرة...، ويُسموا بالطرد. نظرًا لأهمية الكتاب ومكانته في الأوساط الثقافية تُرجم الكتاب إلى اللغة الألمانية عام ١٨٢٤م، بعدها طُبع الكتاب طبعة ثانية ونُشر عام ١٨٤٠م في باريس كون مؤلفه يُعد أفضل مؤلف إسباني، بعدها أُعيد نشر الكتاب في عام ١٨٤٤م في برشلونة وأُعيدت طباعته في العام نفسه، أما في عام ١٨٥٤م تُرجم الكتاب إلى اللغة الإنكليزية وأنتظم بعنوان (سيطرة العرب في إسبانيا). بالعودة إلى عام ١٨٢١م طُبع الجزء الثالث من الكتاب بعد وفاة كوندى، وبالتالي لم يقم هو ذاته بمراجعته أو تدقيقه، لذا فأن

نسبة أخطاء الترجمة، وقراءة الأسماء العربية للأشخاص والأماكن طبيعي أن تزداد[٦٦].

على الرغم من اهتمام كوندى بكتابه هذا إلا أنَّهُ لم يراه مطبوعًا في حياته واضعًا آمالاً كثيرة على هذا العمل، فعندما مات كوندى كان الكتاب في مرحلة الطبع وقد تولى صديقه خوان تينيو راميرث مراجعة الكتاب وتصويب أخطائه[٦٧]، ولعلَّ من انعكاسات ذلك وردت أخطاء كثيرة في الكتاب لان خوان تينيو لم يكن يعرف العربية ولا يتقنها الأمر الذي يُبرر هذه الأخطاء التي أستثمرها بعض المناوئين لكوندى وجعلها سُبة عليه وعلى نتاجه العلمي. أنَّ النص الأصلي للكتاب موجود في مكتبة مدريد الوطنية، وأنَّ عمل ضخم وكبير بهذا الحجم لا بد من الإشادة به، وتمجيده لذا فلا غرابة أنَّ يكون كوندى قد أنفق سنوات من عمره في تأليف هذا الكتاب وإنجازه معتمدًا على مصادر ومخطوطات إسلامية وعربية خالصة عُنيت بتاريخ المسلمين في بلاد الأندلس، لذلك رغم الانتقادات التي طالت كوندى ومؤلفه الشهير إلا أنَّهُ يبقى هذا الكتاب حسب وجهة نظري نقطة انطلاق مهدت الطريق لدراسات استشراقية إسبانية أخرى عُنيت بدراسة تاريخ المسلمين في إسبانيا.

أنَّ معظم المخطوطات التي أستخدمها المستشرق كوندى في تأليف كتابه المذكور، فُقدت ولم تُعرف أين ذهبت إلا في الآونة الأخيرة حيث بيعت كُتب كوندى ومخطوطاته في مزادٍ علني بلندن، وتم التعرف على كثير من المخطوطات التي استخدمها كوندى، وبذلك يمكن نفي التهمة التي ألصقها به البعض ومن بينهم المستشرق الهولندي دوزي والتي تنص على أنَّـــهُ أخترع بعض هذهِ الأكاذيب من بنات أفكاره، وزور الحقائق التأريخية[٦٨].

حظيَّ كتاب تاريخ حكم العرب في إسبانيا بمكانة مهمة لدى الأوساط الأكاديمية الإسبانية، أو عامة الناس علمًا أنَّ كوندى كان يُعلن عن كتابه قبل أنَّ يبدأ هو في تأليفه، ففي أبحاث قدمها أكاديميون إسبان إلى أكاديمية التأريخ كانوا يعلنون عن الكتاب بحماسٍ كبير ووصف بأنهُ دراسة غير عادية، لذلك نشرت أكاديمية التأريخ في المجلد الرابع الذي تضمن أبحاث الأكاديمية تقريضًا للكتاب قبل أنَّ يُنشر وجاء فيهِ: (أن الأكاديمية يسرها أنَّ يشتغل بعض أعضائها في أبحاثٍ تُسهم في نشر الثقافة العامة بين الشعب، وتؤكد تميز مؤلفيها ومن هذهِ الأبحاث كتاب تاريخ المسلمين في إسبانيا لخوسيه انطونيو كوندى...، سيؤدي إلى ثورة في مجال الأدب والبحث)[٦٩].

كذلك أُثنيَّ على الكتاب من قبل أكاديمية التأريخ إذ جاء في المجلد السادس الذي تضمن أبحاث عام ١٩١٨م: (يـــالفرحة الأكاديمية عندما ترى ثمرة علم كثير من أعضائها الذي يعلون قدرها بكتاباتهم المتميزة خلال هذا العام بدأ نشر كتاب تاريخ إسبانيا العربية، الذي ألفه خوسيه أنطونيو كوندى والذي تحدث في مقدمة هذا الكتاب عن صعوبة المهمة، وقدم نقدًا موضوعيًا للمؤلفين الذين سبقوه في هذا المجال وعرض خطة البحث والمراجع التي أستند عليها لكي يقدم كتابًا عن موضوع غير معروف في أوربا). أضافة لذلك كانت هناك دعاية كبيرة للكتاب في وسائل الأعلام الإسبانية مركزة على أهمية الكتاب ومساهمته في تقديم معلومات جديدة عن حكم العرب في إسبانيا[٧٠].

على الرغم من الشهرة الكبيرة التي نالها كتاب تاريخ حكم العرب في إسبانيا، إلا أنَّهُ لم يكن خاليًا من الهفوات والإخطاء، وهذهِ الإخطاء لم تكن عن قصد، بل تُعد حسب وجهة نظرنا أخطاء طبيعية يقع فيها أي مؤلف يكتب عن تاريخ أمة غير أمته معتمدًا على وثائق ومخطوطات كُتبت بلغة تختلف عن لغة المؤلف.

حددَ أحد الباحثين الأخطاء التي وردت في كتاب تاريخ حكم العرب في إسبانيا، إذ تمثلت هذهِ الإخطاء في تسمية عدد من الأعلام والمواقع الجغرافية التي وردَ ذكرها على لسان كوندى، إلا أنَّ مترجم الكتاب عمل على تصحيحها أمثال شاطبة، شريش، شلبطرة، البشرات، شقر وطركونة، الأمر الذي يُحسب للمترجم إذ عالج في ترجمته هذهِ الأخطاء وتداركها[٧١]. وقد يعود السبب في تلك الأخطاء إلى:

١- أنَّ كوندى كان متسرعًا في كتاباته، حيث ألفَ كتابه سابق الذكر دون أنّ تتوفر لديه أدوات النقد، واكتفى بترجمة ما وقع في يـــده إلى اللـــغة الإسبانية دون السعي للتأكد من صحة ترجـمته، محاولاً أنَّ تكون التـــرجمة أقرب شكلاً ومضمونًا إلى

النـــص الأصلي الأمر الذي سبب له بعض الإشكاليات العلمية.

٢- أن أخطاء كوندى كانت ناجمة عن كونه أول من كرس جهده للدراسات العربية، بل أنَّهُ الوحيد الذي تبنى العمل في الدراسات العربية في عصره، وأنَّ أخطائه في الترجمة لم تكن أخطاء ناتجة عن عدم أمانته، أو أهوائهِ وميوله المذهبية والقومية.

٤/٢-المستشرق خوسيه أنطونيو كوندى بين جدلية الرأي واختلاف الحقائق

أهتم المستشرق الإسباني كوندى بدراسة تاريخ الأندلس الإسلامية، وأنفرد بكون كتاباته كانت مصدرًا مهمًا في توثيق الكثير من الأحداث والوقائع التأريخية التي عصفت بتاريخ الأندلس، وتجلى ذلك واضحًا في تدوينه لأحداث رافقت حكم بني الأحمر، وانتهاء الحكم الإسلامي لمملكة غرناطة سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م، كون كتاباته كانت دقيقة في ذكر الأحداث الأمر الذي أكده لارا نيكولا فاليه مترجم كتاب تاريخ حكم العرب في إسبانيا وتجسد ذلك في قوله: (أنَّ مصدرنا الأول في تاريخ تلك المرحلة إنما هو كتاب كوندى نعم الأول صحيح أنَّهُ ناقل والناقل لا يُقاس بمثابة الأصل، ولكنه ناقلٌ عن شاهد وهذا ما لدينا الآن والميسور لا يُترك بالمعسور، وما لا يُدرك كله لا يُترك جله)[٧٢].

كان لأنتاج كوندى الفكري أثرًا واضحًا في آراء المستشرقين الإسبان اتجاهه سلبًا وإيجابًا، وكان تأثيره كبيرًا في داخل إسبانيا وخارجها، لذلك انقسم معاصروه، أو من جاء بعده الى فريقين: فريق أعتبر آراء كوندى لا تقبل النقاش، وفريق هاجمه بلا هوادة أو تريث وأتهمهُ بتزييف الحقائق وتشويهها[٧٣]. ولعلَّ ذلك يعود لآراءه المنصفة للحضارة الإسلامية في الأندلس التي أصبحت فيما بعد وبالاً عليه فتعرضَّ لانتقادات شديدة، بحيث هاجمه بعض المستشرقين المتعصبين أمثال: باسكوال دي غايانغوس، رينهارت دوزي، رينان، أميل لافويتي الكانترا، ادواردو سافيدرا، وكذلك المستشرق الهولندي دوزي، ولضرورة تقتضيها طبيعة الدراسة لأبد لنا أنَّ نتطرق لآراء هؤلاء المستشرقين للتعرف على موقفهم من نتاج كوندى الفكري وماخلفه من دراسات أفادت المكتبة الأندلسية.

أنَّ أول من أبدى تحفظًا على نتاج كوندى العلمي هو المستشرق الإسباني باسكوال دي غايانغوس، إذ صرح في مقالٍ له حمل عنوان (لغة وأدب الموريسيكيين) قال فيه: (لقد نشر هذا العالم [كوندى]، كتابًا يُعتبر نموذجًا، أو بالأحرى أصل كل الكتب التي ظهرت عن تاريخ إسبانيا العربية في فرنسا وألمانيا وإنكلترا، ورغم أنَّ هذا الكتاب عمل غير عادي إلا أنَّهُ لا يفي بالغرض كلية،...، من المؤكد أنَّ من يتصفح الكتاب سيجد أنَّهُ أشتمل على أخطاءٍ فادحة وتناقضات تنُم عن عدم توخي الدقة)[٧٤].

أن المتمعن في هذا النص يجد ثمة تحامل من قبل المستشرق غايانغوس على كوندى ونتاجه العلمي، ولعلَّ ذلك يعود للإنصاف والحيادية التي عُرف بها كوندى، تجاه الحضارة الإسلامية وما حققه المسلمين من تراثٍ حضاري كبير في بلاد الأندلس، وما يتصف به غايانغوس من تعصب وحقد كبير إتجاه كل ما هو إسلامي أو عربي في إسبانيا.

واصل غايانغوس رأيه في كتاب كوندى قائلاً: (أنَّ الدراسة فيها بعض الأخطاء التي تؤخذ على المؤلف منها: سوء ترتيب المادة العلمية، عدم وجود هوامش توضيحية أو نقدية، التكرار في المعلومات). لعلَّ هذهِ الأخطاء أمر وارد في عملٍ ضخم أعتمد المؤلف فيه على مخطوطات قد تكون غير مفهومة المعنى، أو غير واضحة الخط كونها كُتبت بلغة تختلف عن لغة المؤلف.

كذلك تعرض المستشرق كوندى لهجومٍ كبير يُعد هو الأعنف لأنَّهُ أثر في سمعته العلمية هو ذلك الاتهام الذي وجهه المستشرق الهولندي دوزي، إذ في عام ١٨٤٠م، نشر دوزي كتابه الموسوم دراسات عن تاريخ وأدب إسبانيا في العصور الوسطى، أفصح في مقدمة الكتاب قائلاً: (أنَّهُ حتى تلك اللحظة لم تُنشر بعد دراسة ذات قيمة عن تاريخ إسبانيا الإسلامية،...، أما كوندى فأنَّ كتابه تاريخ المسلمين فكأنهُ لم يُكتب). لم يكتفِ بذلك بل واصل هجومه قائلاً: (لقد أشتغل كوندى في وثائق عربية دون أنَّ يعرف عن العربية أكثر من مجرد الحروف التي تُكتب بها، ثم أنَّهُ أستعاضَ عن نقص المعارف

الجوهرية بخيال غاية في الخصوبة فهو قد أختلق تواريخ بالمئات، وأخترع وقائع بالآلاف وزعمَ أنَّ كل ذلك ترجمة أمينة للمصادر العربية،...، أنَّهُ لم يرى ضرورة لدراسة الكتاب بتأنٍ، ولم يُقارن مصادره بالمصادر التي يقول كوندى أنَّهُ أعتمد عليها لأنَّ الكتاب مليء بالأخطاء لدرجة أنك لو فتحت صفحة ما بالمصادفة فستجد أخطاءً، يجب أنَّ نعترف أنَّ كوندى قد أحتاط لكيلا يُكتشف دجله بسهولة أنَّهُ يُخفيه تحت مظهر مُخادع،...)[٧٥].

لم يكتفِ المستشرق دوزي بذلك، بل شنَّ هجومًا آخر على كوندى أمتهنَّ فيه من شخصية كوندى ومكانته العلمية حينما قال: (أنَّ تنظيف أسطبل لأسهل من تصحيح جميع الأخطاء التي أرتكبها كوندى)[٧٦]. لم يصمد المستشرق دوزي ويتمسك بهذهِ الآراء إذ بمرور الوقت خفف دوزي هجومه على المستشرق الإسباني كوندى وأخذ يحذف بعض العبارات ذات اللهجة الحادة، وغيرَ موقفه تجاه كوندى لاحقًا واخذ يتقبل آراءه في بعض الأحيان[٧٧]. وهذا التغير في المواقف لعلَّ سببه يعود للشهرة الكبيرة التي نالها المستشرق الإسباني كوندى، وأدراك دوزي أهمية العمل الكبير الذي قام به كوندى وتقديره مؤخرًا لهذا العمل.

أما المستشرق رينان أنضم هو الآخر إلى ركب المهاجمين للمستشرق كوندى والمنتقدين له ويتضح ذلك من خلال قوله: (أنَّ كتاب كوندى عبارة عن خليط من الأخطاء فمن شخص واحد يصنع كوندى شخصين، أو ثلاثة وهناك شخص يموت مرتين، وهناك شخص يموت قبل أنَّ يولد، وهناك أشخاص تلعب أدوارًا خيالية)[٧٨].

لعلَّ المستشرق رينان ليس لديه دلائل واضحة لأثبات ما ذكره، لأنَّ رأيه لم يختلف عن رأي دوزي وأنه يُشاطره الحقد والكراهية التي يحمله دوزي لكوندى، لذا فلا غرابة أنَّ يكون رأيه بهذهِ الحدة.

كذلك لم يكن المستشرق أميل لافويتي الكانترا بعيدًا عن حالة الكره والحقد التي حملها ضد كوندى حيث قال: (أنَّهُ أطلقَ العنان لخياله)[٧٩]، ولعلهُ يقصد في هذا الراي أنَّ كوندى لم يكن دقيقًا في ذكر الأحداث والوقائع التأريخية التي ذكرها في كتاباته التاريخية لاسيما كتابه تاريخ حكم العرب في إسبانيا، وأنَّهُ عمل على تزييف الحقائق وتشويهها.

أما المستشرق ادواردو سافيدرا هاجم هو الآخر كوندى وذكر في كتابه الموسوم دراسات عن غزو العرب لإسبانيا، قال في مقدمة الكتاب: (أنَّهُ مجرد جمع بيانات غير منقحة معظمها نشرها أصدقاء المؤلف بعد وفاته وهي بيانات تُسيء للمعرفة التأريخية)[٨٠].

لم تقتصر أنتقادات بعض المستشرقين لكوندى كونه ذكرَ بعض الحقائق التأريخية التي قد يعتريها الخطأ، بل تطاولوا وأنتقدوا المنهج الذي أتبعه كوندى متهمينه بأنَّهُ أراد أنَّ يقوم بدراسة تُجمل التأريخ في الوقت الذي لم تكن تتوافر بيانات كافية لذلك، وأنَّ منهجه خاطئ، وأعتقدَ أنَّ عُمر شخص واحد يكفي للقيام بتلك المهمة، من ناحية أخرى أنَّ كوندى أستسلم لاتجاه عام في كل عصر بين المشتغلين في مجال غير مطروق بشكلٍ كافٍ إلا وهو استخراج نتائج من واقع بيانات غير مكتملة، كذلك أستند معاصروه في أنتقادهم لكوندى، أنَّهُ لم تكُن هناك دراسات عربية تفي بالغرض، وبالتالي فأنَّ جمهور القراء كان يتقبل بيانات وأفكار أي مستعرب دون أنَّ تتوافر للقارئ إمكانية مضاهاة هذه المعلومات بمعلومات أخرى لمعرفة قيمتها الحقيقية، وهكذا انتقلت بعض أخطاء كوندى مختلطة بالصواب[٨١].

لو أسلمنا وخضعنا لهذه الآراء واعتقدنا أنَّ المستشرق كوندى أبتعد عن المنهج العلمي في تعامله مع قضايا تاريخ الأندلس، وتراث المسلمين في إسبانيا إلا أنَّ ثمة حقيقة لا يمكن الابتعاد عنها أنَّ كوندى يُعد أول مستشرق إسباني وضع لبنة التأليف والكتابة عن تأريخ المسلمين في الأندلس، وأنَّ كره هؤلاء المستشرقين لكوندى وتحاملهم عليه كونه أنصف الحضارة الإسلامية في الأندلس وأطلق أحكامه عليها في كل حيادية متجردًا من نزعته الدينية والقومية الأمر الذي لم يُرق لهؤلاء المستشرقين كونهم ينتمون لمدرسة الاستشراق الإسباني المتعصب والمتحامل لكل ما يمت بصلة للإسلام في شبه الجزيرة الايبيرية، ولعلَّ هذا الكره نابع من قناعة هؤلاء المستشرقين إلى أنَّ تأريخ الأندلس وحضارتها جزء لا يتجزأ من تأريخ إسبانيا النصرانية فماذا يتبقى للأسبان من ألق حضاري إذا جُردت إسبانيا من حضارة المسلمين،

أللهمَّ إلا تأريخ أسود خلفته محاكم التفتيش الإسبانية[٨٢] تلك اللعنة التي كانت ولا زالت تُلاحق إسبانيا الى يومنا هذا.

بعد هذا العرض لآراء المستشرقين المتعصبين، صار لزامًا علينا أنَّ نطلع على ما كتبته أقلام الاستشراق المنصف بعد أنَّ ادركوا أهمية تراث كوندى العلمي لا سيما كتابه الموسوم تاريخ حكم العرب في إسبانيا، ومكانته في حقل الدراسات الاستشراقية، فبعد طبع الكتاب ونشره سرعان ما تلاقفت آيادي هؤلاء المستشرقين، الكتاب وقرأوه بتمعنٍ ودقة كبيرين فأنصفوا كوندى واعترفوا بأنَّ المستشرق الهولندي دوزي كان متحاملاً على كوندى وحادًا في أحكامه، وتبينَّ أنَّ أخطاء كوندى لم تكن فادحة كالتي صورها دوزي وغيره، وأنَّ الكثير من آرائه كانت صائبة لذلك ظهرت طائفة من المستشرقين أكثر تـــعـقلاً ومـوضوعية حاولوا الدفاع عن كوندى، أو على الأقل الالتماس لأخطائه، ولضرورة تقتضيها طبيعة الأنصاف والحيادية صار لزامًا علينا أنَّ نستعرض هذهِ الآراء ومنها:

يقول المستشرق م. رومي في كتابه الموسوم تاريخ إسبانيا: (من آلان فصاعدًا سيكون كوندى على وجه الخصوص هو مرجعنا، كان هو العالم بتاريخ الوجود العربي أنَّهُ أستاذ يجب أنّ نعترف)[٨٣].

أما المستشرق فياردوت ذكر في كتابه الموسوم "تاريخ العرب" أنَّ التهم التي وجهت إلى كوندى لا سيما تلك التي صدرت من المستشرق الهولندي دوزي ما هي إلا تهم مفزعة وسخرية مهينة وإشارات إلى أخطاء لا تتعلق بالأحداث التأريخية العظيمة ولا بالشخصيات الشهيرة،... حينئذ كنت أتسائل مـــا إذا كان من الـــلائق بـــذل كل هذا الوقـــت والجـهد لعرض أخطاء كان يمكن تصحيحها بكلمة واحدة[٨٤].

أما المستشرق أغستين دوران فأنَّهُ لم يبتعد عن الحيادية والأنصاف في كتاباته التأريخية لذلك أنصف كوندى حيث أشاد في مقدمة كتابه الموسوم الأغنيات الشعبية بجهود كوندى قائلاً: (أُريد أنّ أُنبه إلى نوع من الدراسة بدأها كوندى وأستمر فيها الأجانب فيما بعد يُريد القدر دائمًا أنّ نأخذ نحن الخطوة الأولى في طريق العلم، ثم نُهمل فيسبقنا الآخرون، ونظل في الظلام تلوح لي هذهِ الفكرة الحزينة وانا أرى رجلاً عظيمًا مثل دوزي يعامل كوندى بشيء من الظلم ناسيًا أنهُ لولا دراسات كوندى لما تمكن هو دون شك من الوصول إلى ما وصل إليه،... وعمومًا فأنَّ كوندى – رغم أخطائه- قد فتح طريقًا سار عليه بنجاح كل من دوزي وغيره من المستشرقين)[٨٥].

أما المستشرق مالـــــودى مولينا مـــــدح كوندى في مقدمة كتـــــابه الموسوم رودريغو البطل، قائلاً: (أنَّ الانتقادات التي وجهها دوزي وغيره من المستشرقين إلى كوندى ليست كلها صائبة، وأنَّهُ لا يتفق مع من يصف كوندى بأنَّهُ مخترع أكاذيب ومزيف وجاهل بالتاريخ واللغة التي يقرأ عنها، أنَّ اخطاء كوندى ناجمة عن التسرع وعن عدم وجود معيار للاختيار عنده...، علينا أن نعترف بالخدمة العظيمة التي قدمها كوندى لتأريخ إسبانيا وبالقيمة العظيمة التي يتصف بها كتابه)[٨٦].

أما المستشرق روكا ألتحق هو الآخر بركب المادحين، ومدح كوندى في كتابه الموسوم حياة كوندى وأشاد بجهوده في معرفة أدب الالخميادو قائلاً: (أنَّ فضل معرفة هذا الأدب يعود إلى كوندى الذي عكف على دراسته قبل ساسى وبمعزل عنه)[٨٧]. علمًا أنَّهُ ليس من السهل أكتشاف هذا النوع الأدبي، ذلك لأنه مكتوب بلُغة ليس من السهل فهمها أو قرائتها لأنها خليط بين الإسبانية والعربية.

خَاتِمَةٌ

توصلت الدراسة الى النتائج الآتية:

يُعَدّ التراث العلمي الذي خلفه كوندى أول مجهود غربي من نوعه يعرض للغرب الوجود الإسلامي في إسبانيا، وفيه وقفَ الغرب لأول مرة على وجهات النظر الأندلسية، وخواص النظم والسياسة الإسلامية.

أبدى كوندى حماسة كبيرة في الدفاع عن المسلمين في الأندلس، والإشادة بخلالهم ومواقفهم وحضارتهم في إسبانيا الإسلامية، وأصدر أحكامًا قاسية على إسبانيا النصرانية.

يبدو أن المستشرق كوندى وقع في بعض الأخطاء التأريخية الأمر الذي عده البعض مثلبة عليه وأخذَ ينتقده بشكلٍ صريح وعلني ووصل إلى حد اتهامه بالكذب والتزوير وتشويه الحقائق... إلخ. إلا أنَّ هذا الأمر يُعتبر أمرًا طبيعيًا لأنَّ كوندى اعتمد في تأليف كتابه تاريخ حكم العرب في إسبانيا على مصادر عربية فالوقوع بالخطأ أمر وارد يُرافق الترجمة من لغة إلى أخرى.

ما يميز منهج كوندى في تدوين الأحداث والوقائع التأريخية أنه لم يُذكر المصادر التي أخذ منها معلوماته وكتاباته خاليه من الهوامش الأمر الذي قد يُضعف كتاباته ويجعلها عرضة للشك والطعن بها.

خلط كوندى في الكثير من الأسماء والتواريخ التي تخص الأحداث والوقائع الأمر الذي استغله بعض المناوئين له وأخذوا ينتقدونه بشده، لا سيما هؤلاء المستشرقين الذين يمثلون مدرسة الاستشراق المتعصب الإسباني.

اهتم كوندى بتدوين تاريخ الموريسيكيين وأرخَ لأدب الألخميادو الأمر الذي يشهد به الجميع، لا سيما المناوئين له.

تُعَدّ كتابات كوندى نقطة انطلاق أولى للاستشراق الإسباني، إذ فتحت كتاباته الطريق أمام الكثير من المستشرقين الإسبان ومهدت لهم البدء في دراساتٍ استشراقية إسبانية.

الإحالات المرجعية:

(١) ابن منظور، **أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري**، (ت٧١١هـ /١٣١١م). لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٢٢٤٤.

(٢) **الشاهد، محمد**، الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين في الاجتهاد، بحث منشور في مجلة الاجتهاد، العدد٢٢، بيروت، ١٩٦٤، ص١٩٩.

(٣) **بارت، ر**، الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص١١-١٢.

(٤) **جويدي، م.أ**، علم الشرق وتاريخ العمران، مطبعة الزهراء، ١٣٤٧م، ص١١-١٤.

(٥) **ديتريش، أ**، الدراسات العربية في ألمانيا، درا النشر فرانز شتاينر، ألمانيا، ١٩٦٢، ص٧.

(٦) **رودنسون، م**، صورة العالم الإسلامي في أوربا، مؤسسة الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٠، ص٧٤.

(٧) **مراد، يحيى، افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها**، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٢.

(٨) **الإسكندراني وآخرون، المفصل في تاريخ الأدب العربي**، دار العصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢، ٤٠٨/٢

(٩) **العناني، علي**، المستشرقون والآداب العربية، مطبعة الهلال، ١٩٣٢، ٤٠/١.

(١٠) **الشرباصي، أحمد**، التصوف عند المستشرقين، سلسلة الثقافة الإسلامية، مطبعة نور الأمل، ١٩٦٦، ص٦.

(١١) **مالك بن نبي**،أنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط١، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٩، ص٥-٦

(١٢) **الحسيني، أسحق موسى**، الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه، الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية، الدورة التدريبية لمبعوث الأزهر، مطبعة الأزهري، ١٩٦٧، ص٩.

(١٣) **الطويل، مريم قاسم**، غرناطة في عهد بني زيري (٣٨٣-٤٨٤هـ/٩٩٣-١٠٩٠م)، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤، ص٢٤٩ ؛ **صفي الدين، محي الدين**، المستعربون ودورهم في تاريخ الأندلس ١٣٨-٧٥٥/٥٤٨٣-١٠٩٠م، رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ٢٠٠٨، ص١٩.

(١٤) **Arenal ,Mercedes García ,** Los Mozarabes o el problema de las minorías en el Islam , Publicación mensual. Director: Emilio Galindo Aguilar , N° 6 , Islam Espanol , Julio , 1972.

, p2وات، مونتغمري، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة محمد رضا المصري، ط٢، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٨، ٦٥/١ ؛ العبادي، **أحمد مختار**، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص١٤٥.

(١٥) **ابن حيان القرطبي، أبي مروان حيان بن خلف، (٣٧٦/٤٦٩هـ/١٠٧٦م)**، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٥، ص٦٤ ؛ **مؤنس، حسين**، فجر الأندلس (دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية

٧١١-٧٥٦م) العصر الحديث للنشر والتوزيع، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢،ص٤٦٣-٤٦٤.

(١٦) **ابن حيان**، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، نشر ب.شالميتا بالتعاون لضبطهِ وتحقيقه مع ف.كورنيطي و م. صبح وغيرهما، المعهد الأسباني العربي للثقافة العربية، كلية الآداب، مدريد، ١٩٧٩، ص٥١ ؛ **ابن الخطيب،لسان الدين أبي عبد الله محمد بن الخطيب السلماني، (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)**

تاريخ اسبانيا النصرانية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٥-١٨ ؛ **إيبالزا، ميكيل دي**، المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الأندلس، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩، ١/٢٣٥.

(١٧) **ابن عذاري، أبي العباس أحمد بن محمد المراكشي ، (ت بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م)**، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، تحقيق ج.س كولان وإ ليفي بروفنسال، ط٢. بيروت، دار الثقافة. ١٩٨٠م، ٢/٢١٧-٢١٨.

(١٨) **الأزهري، محمد بن أحمد بن الازهري الهروي، (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م)**، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مراجعة محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للابناء والنشر، الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر، د.ت، ٢/٣٦٢.

(١٩) أيوب بن القرية: أيوب بن يزيد بن قيس بن زرارة النمري الهلالي الأعرابي، كان بارعًا في البلاغة واللغة، ثار على الحجاج بن يوسف الثقفي مع ابن الاشعث، لأنَّ الحجاج بعثه إلى ابن الاشعث، فأمره ابن الاشعث أنَّ يقوم ويسب ابن الحجاج ويخلعه، أو يقتله، ففعل ذلك مكرهًا، ثم أُسر ايوب والقيَّ القبض عليه فضرب الحجاج عنقه وندم على قتله، وكان ذلك سنة ٨٤هـ. **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)**، سير أعلام النبلاء، ط٩،تحقيق شعيب الأرنوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، ٤/٣٤٦.

(٢٠) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٤٥ ؛ **غوميز، مارغريتا لوبيز**، المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩، ١/٢٦٩.

(٢١) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٧٩-٤٨٠ ٢٤٢ ؛ **هشام، نمر بومدين**، التراث الفكري الأندلسي في نظر المستشرقين الإسبان، أطروحة دكتوراه نوقشت في جامعة وهران، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية، ٢٠١٩، ص٤١.

(٢٢) Arenal , Los Mozarabes , p2؛ **القاضي، محمد عبد الرحمن**، ميغيل آسين بلاثيوس رائد الاستعراب الإسباني، سلسلة كتاب المجلة العربية، الرياض، ١٤٣١هـ، ص١٦٧؛ هشام، التراث الفكري،ص٤٢.

(٢٣) الموريسيكيون (المورو): هو المصطلح الذي أطلقه الإسبان على العرب المسلمين الذين بقوا في مملكتي قشتالة وغرناطة اثر صدور مرسوم التنصير الشهير الذي أصدرته الملكة إيزابيلا عام ٩٠٨ ه / ١٥٠٢م، وكلمة الموريسكيين مأخوذة من الكلمة القشتالية *Moriscos* والتي تعني النصارى الجدد أو النصارى الصغار وقد أطلق هذا المصطلح على هؤلاء المسلمين كتحقيراً لهم. ينظر. **بشتاوي، عادل سعيد**، الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة، (مطابع أنتر ناشيونال برس، القاهرة، ١٩٨٣)، ص٦.

(٢٤) **غويتسولو، خوان**. في الاستشراق الإسباني، تعريب كاظم جهاد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ت، ص١٥.

(٢٥) **عنان، محمد عبد الله**. دولة الإسلام في الأندلس، من الفتح إلى بداية عهد الناصر العصر الأول، القسم الأول، ط٤، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧، ص٢٦٩.

(٢٦) طليطلة: مدينة بالأندلس بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة خمسة وستون ميلاً، وهي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل أيضًا ومنها إلى المرية في البحر الشامي تسع مراحل أيضًا. ينظر **الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت حوالي ٧١٠هـ/ ١٣١٠م)**، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٤، ص٣٩٣.

(٢٧) **الحركة الكولونية**: حركة دينية أسسها وليم الاكيتاني في دير الرهبان المركزي بمدينة كلوني سنة ٩١٠م، هدفها إحياء الرهبنة الأصيلة الملتزمة بشكل صارم بأصول الرهبنة البندكتية، كما دعت إلى ضرورة تعلم الرهبان للكتاب المقدس وتطوير احتفالات المراسم الكنسية، وقد شجعت هذهِ الحركة الشباب على الانخراط في صفوف الحملات الصليبية ضد مسلمي الأندلس. يُنظر.**كانتور، نورمان ف**، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبدة قاسم، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية، د.ت،١/٣٥١-٣٥٢.

(٢٨) الحركة الديرية السترشيانية: حركة دينية أسسها راهب يدعى القديس روبرت ديرموليم سنة ١٠٩٨/٤٩٢م، وان أعضاءها كانوا متحمسين لشن الحروب الصليبية في الأندلس، إذ أنشأت هذه الحركة مركزا لها في إسبانيا سنة ١١٤٩/٥٤٤م، وأوكلت لهذهِ الحركة مهمة نشر تعاليمها داخل إسبانيا، وقد امتد نشاطها على البرتغال فأنشأت لها أديرة عديدة في منطقة الحدود بين المسلمين والنصارى. يُنظر: **عاشور، سعيد عبد الفتاح**، أوربا في العصور الوسطى التاريخ السياسي، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٢٢٠.

(٢٩) هشام، التراث الفكري، ص٧٧-٧٨.

(٣٠) **العلياوي، حسين جبار**، العلاقة بين الكنيسة الغربية والكنيسة الإسبانية، بحث منشور في مجلة آداب البصرة، العدد٥٣، ٢٠١٠، ص١٠٩.

(٣١) **الزهراني، صالح عيظة**. الأندلس والأدب الأندلسي في الدراسات الإسبانية الحديثة أثر الأيديولوجيا في توجيه القراءة، مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، د.ت، ص١٧.

(٣٢) باسكوال دي غايانغوس: ميتشرق وعلامة إسباني يُعد أحد رواد الاستشراق الإسباني ولد سنة ١٨٠٩، يعُد المؤسس الحقيقي للاستشراق الإسباني الحديث وباعث الدراسات العربية والإسلامية في إسبانيا، أمضي طفولته في باريس ودرس على يد المستشرق دي ساسي مدة ثلاث سنوات أنتقل بعده الى لندن، توفي سنة ١٨٩٧م. **دبور، محمد علي**، ملامح من مدرسة الاستشراق الإسبانية الحديثة وجهودها في دراسة التراث التاريخي الأندلسي أمبروسيو أويثي ميراندا (١٨٠٠-١٩٧٣م) أنموذجًا، ص١٠.

(٣٣) **إدوارد سافيدرا**: مستشرق إسباني ولد سنة ١٨٢٩، تعلم العربية وأتقنها، انخرط في جامعة مدريد وتخرج منها سنة ١٨٤٨، وحصل على شهادات عدة في الهندسة المعمارية، وتولى مهام ومناصب

أكاديمية وإدارية، اهتم بتاريخ الموريسيكيين وركز اهتمامه بدراسة أدب الالخمياده، وقد تجاوزت مؤلفاته المائتين. ينظر. **بدوي، عبد الرحمن.**
موسوعة المستشرقين، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣، ص٣٣٢-٣٣٣.

(٣٤) للمزيد من المعلومات حول فرانسيسكو خافير سيمونيت. ينظر **الحسيني، قاسم عبد سعدون**، الأندلس في رؤى الاستشراق الإسباني المستشرق فرانسيسكو خافير سيمونيت أنموذجًا، مجلة آداب ذي قار، العدد ٣٤، القسم الثاني، ٢٠٢١، ص٣١١-٣٣٦.

(٣٥) **أميل لافويتي الكانترا**: مستشرق إسباني ولد سنة ١٨٢٥، صار عضوًا في جمعية التأريخ وابدع في دراسة تاريخ الأندلس وترك أرثًا تاريخيًا مهمًا تجسد في مؤلفاته الموسومة : الكتابات العربية في غرناطة، أخبار مجموعة، فهرسة المخطوطات العربية. ينظر. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٥٠١-٥٠٢.

(٣٦) **فرانسيسكو غونثالث**: مستشرق إسباني ولد سنة ١٨٣٣، درس الفلسفة والآداب والقانون ثم أصبح أستاذًا للأدب الإسباني واللغة العربية في جامعة غرناطة، ثم عضوًا في أكاديمية التاريخ سنة ١٨٦٧م، وتقلد مناصب إدارية عدة، ومن أعماله الشهيرة توسيع فهرس الغزيري، وترجمة مخطوط قصة زياد بن عامر الكناني إلى الإسبانية، ناهيك عن مؤلفه الشهير حول المدجنين في إسبانيا المعنون الأحوال السياسية والاجتماعية للمدجنين بقشتالة، وترجمته لكتاب البيان المغرب لأبن عذاري المراكشي. ينظر. بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٣٩٦-٣٩٧.

(٣٧) **كونده، خوسيه أنطونيو**، تاريخ حكم العرب في إسبانيا، ترجمة نيكولا فاليه، مراجعة أحمد أبيش، إصدارات دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب العلمية، ٢٠١٣، ص١٠.

(٣٨) عنان، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين العصر الرابع**، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص٢٨٤؛ **أحمامو، عبد العالي**، الاستعراب الإسباني في المغرب خوسيه ماريا لورشندي أنموذجًا، بحث منشور في مجلة دراسات استشراقية، العدد ١٦، ٢٠١٨، ص٢٠.

(٣٩) الزهراني، الأندلس والأدب الأندلسي، ص٢٨-٢٩.

(٤٠) مؤنس، فجر الأندلس، ص٤٦١؛ **عبد الحليم، رجب محمد**، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، الناشرون دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت، ص٦٨؛ هشام، التراث الفكري، ص٦٧.

(٤١) **ألفونسو السادس**: ويطلق عليه في المصادر العربية الفنش أو الفونش بن فردلند أو الأذفونش، وهو ملك قشتالة وليون وجليقية، وصل إلى الحكم بعد أن قتل أخيه دون سانشو وكان فارًا لاجئًا عند المأمون بن ذنون في طليلطة التي استولى عليها سنة ٤٧٨هـ، وأصبح يلقب بالإمبراطور ذي الملتين الإسلامية والمسيحية. يُنظر: ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية، ص٩٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٣٣؛ **الحسيني، قاسم عبد سعدون**، حركة الاسترداد الاسبانية ثنائية الصراع بين المسلمين والنصارى في الاندلس، مركز الكتاب الاكاديمي، عمان، ٢٠٢٠، ٢/ ٧٥-٧٧.

(٤٢) الفونسو السابع (السليطين) : حفيد الفونسو السادس ابن الملكة أوروكا والكونت ريموند البرجوني، حكم قشتالة وليون. **اشباخ، يوسف**، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمه ووضع حواشيه محمد عبد الله عنان، ط٢،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٨، ص١٦٢.

(٤٣) الفونسو المحارب : ملك اسبانيا وزعيمها وهو الملك الفونسو بن شانجه بن ردمير الملقب بالفونسو المحارب أو الفونسو الأول بلغت مدة حكمه ثلاثين سنة، وكانت مدة حكمه من أهم الحقب التي مرت بها الممالك النصرانية في اسبانيا لا سيما مملكة أرغون *Aragon*، فقد قضى معظم حياتهِ يحارب المسلمين فأطلقَ عليه لقب المحارب، وجعل من مملكة أرغون *Aragon* مملكة واسعة الأرجاء لا سيما بعد توسعه واستردادهِ الكثير من الأراضي الإسلامية، وسيطرتهِ على بعض الممالك النصرانية. ينظر *:* شباخ، تاريخ الأندلس، ص١٦٦؛ الحسيني، حركة الاسترداد، ٢/ ١٩-٢١.

(٤٤) هشام، التراث الفكري، ص٦٧-٦٨ ؛ **داوود، عصام كاطع**، موقف المسلمين من أهلالبلاد الاصليين في الاندلس، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية، جامعة البصرة، كلية التربية للبنات، العدد ١٦،حزيران، ٢٠١٤، ص١١٦.

(٤٥) هشام، التراث الفكري، ص٦٨.

(٤٦) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٩١.

(٤٧) **Prats,B Dominguez. ,Jose Antonio Conde Espacio y tiempo en La percepcion de la ntigueda, 2006.**P890.

(٤٨) كونده، تاريخ حكم العرب، ص٧.

(٤٩) Prats, Jose Antonio,P891..

(٥٠) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٩١.

(٥١) **Gorbea , Martin ALmargo** https://dbe.rah.es/biografias مقال منشور في الشبكة الدولية للانترنيت

(٥٢) دبور، ملامح من مدرسة الاستشراق، ص٩.

(٥٣) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٩١.

(٥٤) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٤٩١.

(٥٥) **مانثاناريس، مانويلا**، المستعربون الأسبان في القرن التاسع عشر، ترجمة جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٥٩-٦٠.

(٥٦) مانثاناريس، المستعربون الاسبان، ص٦١.

(٥٧) كوندى، تاريخ حكم العرب في اسبانيا (مقدمة الكتاب)، ص١٢-١٣

(٥٨) ما نثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٥٦.

(٥٩) Prats, Antonio conde , p884.

(٦٠) كوندى، تاريخ حكم العرب في اسبانيا (مقدمة الكتاب)، ص٨.

(٦١) **عبد الرحمن الداخل**: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، اول من دخل الأندلس من بني أمية بعد أن هرب من جيوش بن العباس إلى المغرب وتردد بنواحي افريقية وأقام دهرًا في أخواله بني نفزة، ثم عبر إلى الأندلس في ربيع الأول سنة ١٣٨ه، وهزم أميرها يوسف الفهري، وأقام الإمارة الأموية في الأندلس، لقب بألقاب منها : الداخل، صقر قريش، أبو زيد وقيل أبو سليمان وكنيته الأشهر أبو المطرف، توفي سنة ١٧١ه. ينظر، **ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي،(ت ٥٦٥٨/ ١٢٦٠م)**،الحلة السيراء، حققه وضبط حواشيه، حسين مؤنس،

ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥، ١/٣٥-٤٢ ؛ **المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)**، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨، ١/٢٨٢.

(٦٢) **هشام المؤيد**: هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر كنيته أبو الوليد ولقبه المؤيد بالله أمه صبح البشكنشية، أم ولد، بويع له يوم الاثنين لأربع خلون من صفر سنة ٣٦٦ بعهد من أبيه، وهو ابن إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر؛ نقش خاتمه هشام بن الحكم بالله يعتصم، وخلع يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، سنة ٣٩٩؛ فكانت خلافته الأولى، إلى أن قامت الفتنة، ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام. وفي الخلافة الثانية سنتين وعشرة أشهر. ينظر ابن عذاري، البيان المغرب، ٢/٢٥٣.

(٦٣) **جوهر الصقلي**: ابو الحسن جوهر بن عبد الله مولى مملوك رومي ولد في جزيرة صقلية أحدى الجزر الرومانية، نشأ في حجر الدولة الفاطمية، لم تذكر المصادر التأريخية سنة ولادته إلا أنَّهُ من المرجح أنه ولد سنة ٣٠٥هـ أو ٣٠٧هـ، قربه الخليفة المعز لدين الله لما توسمه فيه من الاخلاص للدين والمذهب والمواهب الفذة والثقافة الواسعة التي أخذ منها بأوفى نصيب. توفي سنة ٣٨١هـ. **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)**، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، القاهرة، مطبعة بولاق، د.ت، ٢/١٤-١٥.

(٦٤) ما نثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٦٤-٦٥.

(٦٥) ما نثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٦٣.

(٦٦) ما نثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٦٣.

(٦٧) ما نثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٦٣

(٦٨) نقلاً عن ما نثاناريس، المستعربون الاسبان، ص٦٥.

(٦٩) نقلاً عن مانثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٦١.

(٧٠) مانثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٦٢.

(٧١) كوندى، تاريخ حكم العرب في اسبانيا (مقدمة الكتاب)، ص١٤.

(٧٢) كوندى، تاريخ حكم العرب في اسبانيا (مقدمة الكتاب)، ص١٣.

(٧٣) مانثاناريس، المستعربون الاسبان، ص٥٣.

(٧٤) مانثاناريس، المستعربون الاسبان، ص٧٢.

(٧٥) ما نثاناريس، المستعربون الاسبان، ص٧٢-٧٣.

(٧٦) **شيخة، جمعة**.القيم الخصال في شجرة الاستشراق الاسباني الوارفة بالضلال، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للأبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٤، ص٦٢، هشام، التراث الفكري، ص٩٦.

(٧٧) ما نثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٧٦.

(٧٨) ما نثاناريس، المستعربون الاسبان، ص٧٣.

(٧٩) ما نثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٧٤.

(٨٠) ما نثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٧٤.

(٨١) ما نثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٥٣ ؛ دبور، ملامح من مدرسة الاستشراق، ص١٠.

(٨٢) محاكم التفتيش الاسبانية : كان إنشاء هذه المحاكم كان جزءًا من الحركة الإصلاحية التي قادها البابا كريكوري التاسع، إذ أمر هذا البابا خادمته الملكة إيزابيلا بتأسيس محكمة تفتيش تأتمر بإمرته، ولكن تعصب هذه الملكة وكرهها للدين الإسلامي قد دفعها إلى رفض هذا الأمر،لأنها كانت تريد تأسيس محكمة تفتيش تأتمر بإمرتها لا بإمرة البابا، لذلك لم يجد البابا سيكستوس الرابع، مفرًا من الموافقة على طلب الملكة إيزابيلا بإقامة محكمة تفتيش قشتالية في شهر ذي الحجة عام ٨٨٣ ه الموافق تشرين الثاني / ١٤٧٨م، وبتشكيل هذه المحكمة على ارض قشتالة بدأت معاناة الموريسكيين على يد عمال هذه المحاكم. ينظر : رائف، وتذكروا من الأندلس، ص٢٥٤.

(٨٣) نقلاً عن مانثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٧٧.

(٨٤) نقلاً عن مانثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٧٧.

(٨٥) نقلاً عن مانثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٧٨.

(٨٦) نقلاً عن مانثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٧٨.

(٨٧) نقلاً عن مانثاناريس، المستعربون الأسبان، ص٨٢.